

أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

The reasons for the failure of Arab unity as the main objective of
Libyan foreign policy through the analysis of documents 1969-1999

رقية عبدالهادي أحمد أبوشويشة*، ا.د. الفاتح عبدالله عبدالسلام**

الملخص

تبرز أهمية هذه الدراسة في تسليطها الضوء على أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية خلال الفترة من 1969 إلى 1999 لحكم الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي. حيث مثلت قضية الوحدة العربية الهدف المركزي للسياسة الخارجية الليبية خلال تلك الفترة. الهدف الأساسي لهذه الدراسة يكمن في دراسة أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية خلال الفترة موضوع الدراسة، رغم المحاولات العديدة على مدى ثلاثة عقود من خلال تحليل الوثائق. اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي وذلك بتتبع وتحليل تلك الوثائق في إطارها التاريخي. كما اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي في مقارنتها لتلك الوثائق بهدف التوصل لأهم أسباب فشل كل مشاريع الوحدة. اهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن فشل مشاريع الوحدة العربية نتج عن أسباب ايديولوجية..وسياسية..واققتصادية..وان كل هذه المحاولات قد اتسمت بالتسرع والعجلة..ولم تخضع للدراسة المتأنية..كما أنها لم تنبع من القواعد..وانما عبرت عن اشواق للقادة..خصوصا من الجانب الليبي.

الكلمات المفتاحية: الوحدة العربية، المشاريع الوحدوية، السياسة الخارجية الليبية، وثائق الوحدة، أسباب الفشل، ايديولوجية، سياسية، اقتصادية.

* طالبة دكتوراه في قسم العلوم السياسية - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

aargiya2013@yahoo.com

** أستاذ في قسم العلوم السياسية - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

elfatih@iium.edu.my

2 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

Abstract

This study is important as it sheds light on the reasons for the failure of Arab unity as a major objective of Libyan foreign policy during the period 1969-1999 of Gaddafi epoch. During this period Arab unity became the core goal for Libyan foreign relations. The major objective of this study is to analyse Arab Unity Documents during that period to determine the orientation of Libyan foreign policy towards the unity issue. The study has used the historical approach to analyse the unity documents in their historical context. In addition to this, the study has used the analytical method in order to identify and analyse the reasons for the failure of all unity attempts. The study has concluded that the failures were attributed to ideological..political..and economic reasons..that unity attempts were characterised by haste and lack of study to determine their feasibility..and that they did not reflect genuine yearnings on the part of the grassroots.

Keywords: Arab unity, Unity Projects, Libyan foreign policy, Arab unity documents, The reasons for the failure, Ideological, Political, Economic.

المقدمة

تمهيد:

منذ أن فكر العرب في الوحدة العربية وكل محاولاتهم بائت بالفشل علاوة على ذلك زاد تشتتهم وزادت عداوتهم وحروبهم، لهذا أصبحت الوحدة العربية شبه مستحيلة. بالرغم أنه لا يمكن إنكار أن بعض مشاريع الوحدة كان أصحابها جادين للوصول إلى نتائج سياسية واقتصادية وعسكرية تلبي حاجات ومتطلبات شعوبهم، لكن بالنظر إلى العوامل البنوية الداخلية يمكن القول إن الإيديولوجيا القومية العربية هي المسؤولة عن هذا الفشل إضافة إلى الأنظمة السياسية والسياسة الاقتصاد لهذه الدول للدول. وسوف يتم تناول أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق عبر عدة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول

الأسباب الإيديولوجية والتنظيمية

تمهيد:

نلاحظ أن أدبيات القومية العربية أو الإيديولوجية الفكرية العربية دائماً ما تعتمد على مقاربات تسعى إلى حصر عوامل الوحدة، ومعيقاتها، من خلال دراسات وتجارب عالمية ومحلية. غير أن هذا الطرح أو المنهج السائد في الفكر الوحدوي العربي لا يسمح بتحقيق أي تقدم معرفي، ولا يعمل على تشخيص العلل وفهم الإشكالات الجوهرية، التي تقف عائقاً أمام الوحدة العربية، وهذا ما يعتبره الباحث أكبر تحدٍ للفكر الوحدوي العربي.

إذن فالباحث في الشأن الوحدوي العربي ليس مطالباً فقط بالبحث عن أسباب فشل الوحدة أو خصائص الوحدة المتوفرة في المجتمعات العربية فقط، بل تعضده بعملية الكشف عن ديناميكية الشعوب، والتي من شأنها صناعة الوحدة خاصة مع وجود العديد من النقاط الإيجابية المشتركة بين الشعوب العربية.

وعلى هذا الأساس سيقوم الباحث في هذا الجزء، بتحليل أهم أسباب فشل المشاريع التي شاركت ليبيا فيها من الناحية الإيديولوجية اعتماداً على ديناميكية العناصر المكونة للمجتمع الليبي والمجتمعات التي كانت طرفاً في هذه المشاريع، وخاصة قياداتها، وفقاً للظروف المحيطة بها، وهذا من خلال استقراء وثائق المشاريع الوحدوية إضافة إلى دراسات وآراء أخرى جاءت في نفس السياق، من خلال ما يلي من مطالب.

المطلب الأول: غياب المنهجية العلمية في السياسة الخارجية الليبية:

لقد انشغل صناع القرار السياسي في ليبيا بالهدف الوحدوي وضرورته دون وعي علمي كاف بالطرق الموضوعية لتحقيق دولة الوحدة، واكتفوا بالحديث عن الوحدة كنتيجة حتمية لوجود تيار قومي واحد كما جاء في ميثاق طرابلس عام 1969 " عقب لقاء القادة الثلاثة على درب الثورة العربية طبيعياً ومنطقياً بل وحتمياً"¹. أو في مشروع

¹ . وزارة الخارجية الليبية (1969). ميثاق طرابلس. طرابلس الغرب: الوثائق العربية. رقم 463. 432.

4 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

دستور الوحدة بين ليبيا والجزائر " كان من المفروض أن يتواصل السعي لإقامة البناء الموحد الذي لا تفرضه الحتمية التاريخية فقط ولكنه ضرورة تملئها متطلبات العصر"². لا خلاف على ضرورة الوحدة وتحقيقها لما لها من انعكاسات إيجابية على الشعب العربي، فالحتمية التاريخية أو الواقع الدولي لا يكفيان لتحقيق وحدة عربية حقيقية. كما أنه اتسم بالتبشيرية³، حيث أنه " يعمل منفصلاً عن الواقع وقوانينه وينطلق من التصورات فحسب، ويعتمد الحذلقه اللسانية والعبارات المنمقة والخيال الجامح"⁴، وهذا ما يكاد يكون الوجه العام لكافة الخطابات الوحدوية ومقدمات المشاريع المنجزة.

² . خوري، يوسف، المشاريع الوحدوية العربية 1913-1989 دراسة توثيقية، ميثاق طرابلس (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، يوليو 1990) 736.

³ . البيطار، نديم، من التجزئة ... إلى الوحدة- القوانين الأساسية لتجارب التاريخ الوحدوية (بيروت: مركز دراسات الوحد العربي، ط5، فبراير 1986) 13.

⁴ . مصطفى، عبد التواب ، الوحدة العربية بين (المنهجية العلمية) و(النزعة الرومانسية) . . رؤية استراتيجية، الاسترجاع في 2013.08.27 من:

[http://www.asharqalarabi.org.uk/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-\(%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%A9\)-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9\)-%D9%88\(%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B2%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9\)---%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9_ad-id!4406.ks#.XbmO2UUzYU0](http://www.asharqalarabi.org.uk/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-(%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%A9)-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9)-%D9%88(%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B2%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9)---%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9_ad-id!4406.ks#.XbmO2UUzYU0)

إن ضعف تفاعل الجماهير مع المطالب السياسية الوحدوية التي نادى بها الزعماء العرب في تلك الحقبة يعود أساساً إلى "غياب منهج التفكير العلمي وسيطرة الفكر التبشيري الذاتي - القائم على الخيال، ما يصفونه بالقصور الفكري"⁵. وهنا لا نقصد إيمان الشعوب العربية بقضية الوحدة العربية إنما الحديث عن تفاعل الشعوب مع ما يُطرح من مشاريع، لذا فإن الشعوب العربية تتطلع إلى "الوعي العقلي والأخذ بمنطق التحليلات ذات الطابع العلمي الواقعي"⁶ لتؤمن بالمشاريع الوحدوية وتناضل من أجلها. لا أن يتم استغلال تطلعاتها إلى وحدة تصون حقوقهم وتحفظ مكانتهم بين الأمم، وهذا يمكن ملاحظته في أغلب البيانات التي أعلنت قيام وحدة بين قطرين أو أكثر ويمكن الاستدلال بما جاء في بيان مشروع إتحاد الجزائر وليبيا حيث ذكر "وإيماناً منهما بأن الوحدة هي وسيلة الجماهير لتحقيق تحررها وتأمين مستقبلها وبناء مجتمعها الديمقراطي الشعبي الاشتراكي وتأكيداً بأن الاشتراكية هي النهج الصحيح لتحقيق بناء المجتمع المنشود، وإن هذا الاختيار لا يصدر عن أي فلسفة مادية ولا يرتبط بأي مفهوم غريب عن المسار الفكري والاجتماعي والروحي للشعبين في الجزائر و ليبيا، ولكنه وسيلة لانجاز الأهداف والمطامح الشعبية للحيلولة دون احتكار الثورة من طرف أقلية محدودة"⁷.

أو ما جاء في ميثاق الوحدة بين ليبيا والسودان "وتجسيدا عملياً للدور الذي يؤكد الموقع الجغرافي للبلدين كجسر يربط بين المشرق والمغرب العربي وعمق افريقيا وتعزيزاً لكفاح الشعبين من أجل تحقيق الوحدة العربية وتعميقاً لعلاقات التواصل التاريخي بينهما"⁸. هذه النوعية من الخطابات الثورية كانت هي مدار المشاريع الوحدوية حيث

⁵. المرجع السابق.

⁶. المرجع نفسه.

⁷. خوري، يوميات ووثائق الوحدة العربية، مرجع سابق. 650.

⁸. بدون اسم (نوفمبر 1988). مشروع ميثاق الوحدة بين ليبيا والسودان. جريدة الوطن العربي، باريس، (87).

6 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

أغلبها انتقل من هذه الخطابات الحماسية إلى التنفيذ مباشرة، دون أن تكون هناك مخططات وفق خط زمني معين، بل بعض قرارات مشاريع الوحدة وصفت بالقرارات التنفيذية الفورية.

المطلب الثاني: انفصام الواقع عن الأهداف في السياسة الخارجية الليبية والعربية

سادت حالة من التناقض أو عدم الإتساق بين الواقع السياسي والفكر القومي الوحدوي، في الأنظمة السياسية العربية بشكل عام، حيث اعتبرها الباحث صلاح سالم حالة مرضية أصابت السياسة الخارجية وسيطرت عليها "حال الشيزوفرينيا السياسية التي تكاد تسيطر على الحياة العربية وتثير حالة من عدم التسامح مع الآخر العربي، على حساب الرابطة القومية"⁹. واستمرت معظم الأنظمة العربية على هذا المنهج حيث تعاملت مع الدعوة القومية بنفاق وليس عملاً بأسبابها وتحقيقاً لأهدافها؛ وهذا حفاظاً على شرعية بعض الأنظمة في بعض الأحيان، وركوباً للموجة في بعضها الآخر، أو هروباً من قضايا محلية تهدد عروش السياسيين.

وانخرط النظام الليبي في بعض المشاريع الوحدوية كان الطرف الآخر منها لا يسعى للوحدة من أجل الوحدة بل لأهداف أخرى، كما فعل السادات حين حاول الهروب من حرب الكيان الصهيوني متحججاً بأولوية الوحدة حيث كشفت واحدة من الوثائق البريطانية المتصلة بهذا الموضوع عن مبررات تهليل السادات لمشروع إتحاد الجمهوريات العربية ولخصتها هذه الوثيقة في النقاط التالية:¹⁰

- ربح الوقت لتحويل انتباه الشعب المصري من قضية قرار الحرب، إذ إنه فشل في هذا لقللة الاهتمام الشعبي بهذا المشروع.

⁹. سالم، صلاح (شتاء 2004). معالم على طريق تجديد الفكر القومي العربي، مجلة شؤون عربية. القاهرة. (119). 132.

¹⁰. الفهداوي، ذياب عبود حسون (أكتوبر 2016) دولة إتحاد الجمهوريات العربية، مجلة الملوية للدراسات لدراسات الأثرية والتاريخية، مجلد 3 (6) السنة الثالثة.

- تحديد موعد جديد للحرب من أجل إعطاء الفرصة للولايات المتحدة لتقديم تسوية سلمية لتجنبه الدخول في حرب مع الكيان الصهيوني.
- توجيه الانتقاد للفكر الناصري من داخل مصر وخارجها، من خلال تأكيد سيره على نهج عبد الناصر القومي، وإظهار حرصه على أولية المصالح المصرية أمام المصالح العربية.

أو القبول المفاجئ للعاهل المغربي الملك الحسن الثاني لعرض الرئيس الليبي القذافي لمشروع الوحدة كما صرح به "قرأ الملك الحسن الثاني الرسالة يوم وصلته مع المبعوث الليبي وبعض مساعديه، وبصورة مفاجئة يعلن لرسول العقيد القذافي، وهو لا يصدق ما يسمع، استجابته الفورية للنداء، بل ويقترح إبرام معاهدة اتحاد بين البلدين، وكان المغرب بذلك البلد العربي الوحيد الذي أعلن على لسان ملكه استجابته لنداء الوحدة كما صرح بذلك العاهل المغربي، وحتى العقيد القذافي، عندما أبلغه مبعوثه اقتراح الحسن الثاني، لم يصدق ما سمعت أذنه ولاحظ باستغراب أن ملكاً هو أول من استجاب لندائه الوحيد¹¹، أن دوافع هذا المشروع من جانب المغرب هو كسب ليبيا في صف المغرب ضد الجزائر في قضية الصحراء الغربية.

المطلب الثالث: صراع القومية العربية والهوية العربية

اكتسبت الهوية العربية شخصيتها من الموروث الثقافي المشترك، والحضارة الضاربة في أعماق التاريخ، فضلاً عن لغة واحدة تسود الدول العربية، وهي لم تقم على العرق العربي، ولم تلغي أو تنفي المكونات العرقية الأخرى التي تعيش معها في نفس الرقعة الجغرافية، غير إن فوضى المشاريع الوحدوية أخرجتها من مكنونها الثقافي، وحولتها من هوية ثقافية إلى هوية سياسية، تميزت بالنظرة الشوفينية، والتعصب الأعمى ورفض

¹¹. بن ددوش، محمد، رحلة حياتي مع المكرفون (الرباط: دار أبي رقرق، 2011) 76.

§ أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

الاعتراف بخصوصيات المجتمعات العربية واعتبار كل من لا يعتمد هذا الفكر وفق الطرح السائد عميلاً للاستعمار أو مناهضاً للوحدة.

وساد هذا الطرح جل المشاريع الوحدوية، خاصة المشاريع الإندماجية، والتي طرحها ليبيا أو شاركت فيها، دون الأخذ بمدى توفر شروط التوحيد سواء على صعيد البنية القائمة، أو على مدى نضج المجتمعات للانضمام لمثل هذه الوحدة، هذا ما جعل أصحاب الفكر الوحدوي ينصبونه كمسؤول عن الأمة بكل مكوناتها الاجتماعية والأثنية والفكرية. كما أكد " لا يخلو بلد عربي من التنوع في تركيبه الاجتماعي إذ يحوي خليطاً من مجموعات متعددة الانتماء، وقد سعى مشروع التحديث العربي انطلاقاً من الهوية القومية العربية إلى دمجها في إطار دولة تتجاوز المكونات الاصلية لهذه المجتمعات. لم تقم عملية الاندماج هذه استناداً إلى واقع هذه المجموعات وخصائصها والاختلافات بينها وبين مكونات المجتمع، فأتى التوحيد الوطني مصحوباً بعملية فرض على المجموعات في ظل هيمنة مجموعات على حساب أخرى، بحيث جرى تغليب الأكثرية على سائر المجموعات أو تغليب الأقلية على الأكثرية"¹².

هذا الطرح خلق تيارات فكرية انطلقت من أبعاد ثقافية، شنت حرباً شاملة على الوحدة العربية، وعلى مرتكزاتها الموضوعية المتمثلة بالقومية العربية، واستندت هذه التيارات المناهضة لفكرة الوحدة أو القومية العربية إلى الكيانات القطرية والعصبيات الطائفية والعرقية.

والغريب أن نجد الكثير ممن يدعو للوحدة العربية، يناهز باحترام التكوينات الأخرى للدول العربية حيث اعتبروا الوحدة الوطنية بداية الوحدة العربية، واعتبروا أن الوحدة العربية لا تقدم نفسها كبديل للوحدة الوطنية، بل ذهبوا لأبعد من ذلك حين اعتبروا أن

¹² . غزال، خالد. (2008) "المجتمعات العربية المأزومة وإعاقات الحداثة المركبة"، دار الطليعة، بيروت، كاتب

وكتاب، الاسترجاع من:

الوحدة العربية خطوة أولى نحو الوحدة الإسلامية، حيث تم " اعتبار أن الوحدة العربية بارتكازها على منظومة التلازم بين العروبة والإسلام تصبح الإطار الأرحب للعرب، مسلمين وغير مسلمين، وللمسلمين عرباً وغير عرب، فتشكل وعاء تفاعل حضاري خلاق، عربي إسلامي"¹³. غير أن هذه الأفكار الاحتوائية ومبادئ الاحترام للمكونات الإثنية والقطرية والقبلية التي تسود المجتمعات العربية، لم تظهر في الخطابات الوحدوية. فخلال الاطلاع على مشاريع الوحدة العربية سواء التي كانت ليبيا طرفاً فيها أو غيرها من المشاريع بين الدول العربية الأخرى وخاصةً التي تنتمي إليها تكوينات عرقية أخرى، سنجد أن أغلب هذه المشاريع تقوم أساساً على فكرة القومية العربية وفق ما فهمه عبد الناصر، وخليفته العقيد القذافي من بعده، كما صرح به عبد الناصر في أحد خطابه " أترككم وأنا أشعر أن معمر القذافي هو الأمين على القومية العربية، وعلى الثورة العربية، وعلى الوحدة العربية"¹⁴. فهذه الرؤية الناصرية للوحدة العربية تلغي تماماً المكونات الأخرى التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي رغم اختلاف ألسنتهم كالأمازيغ والأكراد، فضلاً عن ثقافتهم. هذا الفكر الإقصائي خلق هوة في المجتمعات العربية نجني ثمارها الآن، وأصبحت من أكبر المشاكل التي تواجه أي فكرة مشروع وحدوي.

¹³. بشور، معن (2017). الوحدة العربية... ما هي ضرورتها وكيف يمكن تحقيقها؟، المجد منبر الثقافة القومية

والعربية، بيروت، الاسترجاع من :

<http://almajd.net/2017/04/05/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%88%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%8A%D9%85/>

¹⁴. خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في ليبيا أثناء تولي معمر القذافي الحكم، الاسترجاع في 2017/08/03. تفرغ

فيديو من :

<https://www.youtube.com/watch?v=w-j8YBqCuuQ>

10 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

المطلب الرابع: الاعتماد الكلي على الخطاب السياسي العاطفي

وثائق مشاريع الوحدة العربية جاء أغلبها على شكل خطابات وبيانات، تميزت بالإستغراق الوجداني والعاطفي، وظل يسير بهذا النمط مع كل تجربة وحدوية، فهو لم ينتقل إلى العمل الجاد وتخطيط معين، مما أنتج مشاريع مليئة بالتناقض. كما أن أغلب هذه الخطابات أغفلت الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والتنمية ولم تتطرق إليها بالمستوى المطلوب، ويمكن إرجاع هذا إلى أنه نابع من رغبة منفردة لدى القادة لتحقيق الوحدة، إضافة إلى حالة الخوف من العدو والإحتلال، مما يجعل صانعي القرار في حالة صراع بين الرغبة والخوف، والتي لا تنتج تفكيراً عملياً منطقياً يصنع وحدة حقيقية، " فالرغبة والخوف سمتان أساسيتان لهذا الخطاب وهما حالتان نفسيتان لا تساعدان لا على التخطيط العقلاني ولا على مواصلة العمل"¹⁵.

ويعتبر مشروع الوحدة بين تونس وليبيا " الجمهورية الإسلامية " أكثر المشاريع الوحدوية التي هيمنت العاطفة عليها، من بداية تأسيس هذا الإتحاد الذي لم يُعمر سوى ساعات قليلة (24 ساعة) إلى نهايته، بل ولأنه خضع لنزعة عاطفية لزعميي الدولتين كانت نتائجه وخيمة، واستمرت الخصومة بين البلدين لسنوات، حيث جاءت الفكرة في غمرة الإحتفالات بالعيد الوطني الليبي، عندما كان الرئيس التونسي بورقيبة في زيارة مجاملة لليبيا، واقترح القذافي الفكرة تحت وقع الأغاني والخطابات الثورية " إن توقيع الوحدة بين تونس وليبيا كان مفاجأة في بادئ الأمر، عندما زار بورقيبة ليبيا في تلك الفترة بمناسبة احتفالها بعيدها الوطني آنذاك وقام باستدعاء الرئيس الليبي معمر القذافي إلى تونس للحديث في مقترح القذافي حول مشروع الوحدة بين البلدين، وأضاف أن الزعيمين التقيا بعد ذلك في جربة بتاريخ 12 يناير 1974 بحضور عدد من وزراء بورقيبة ومن بينهم

15 . حسين، حسين السيد (2000). نحو مشروع قومي عربي معاصر-دراسة في الفكر السياسي العربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق، المجلد 16(2). 338.

وزير الداخلية الطاهر بلخوجة ومدير الديوان السياسي محمد الفيتوري ومحمد المصمودي وزير الخارجية وأنه تم خلال ذلك اللقاء توقيع الإتفاقية الوحدوية بين البلدين¹⁶. هذه المعطيات لا تنفي النية الحسنة للأنظمة السياسية الراغبة في الوحدة، غير أن هذه النية الحسنة ليست الحل للمعوقات التي تواجه مشروع الوحدة، فموقف هذه الأنظمة مع عقبات مشروع الوحدة عادة ما تكون حادة أو متجاهلة، مما يجعلها تتراكم لتصبح سداً منيعاً أمام أي مشروع وحدوي حيث أن النوايا الجيدة وحدها لا تكفي، وكثيراً ما تواجه هذه المشاريع ببعض المعوقات والعراقيل، ونظراً لرغبة قادة الدول في تحقيق الوحدة كان يتم تأجيل تلك المشاكل والعقبات المرة تلو الأخرى حتى تتفاقم وتستعصي على الحل وتكون النتيجة دوماً هي الفشل.

المبحث الثاني: الأسباب السياسية والأمنية

تمهيد

في العالم العربي تتناقض المبادئ والمصالح، فكل مميزاته من عقائد وقيم وروابط تاريخية ومشاعر إنسانية يدفعه نحو الوحدة بعيداً عن التشرذم والتناحر والانعزال، كما أن بنظرة

¹⁶. البرينصي، سنيا (2015). الوحدة بين تونس وليبيا.. بين مطامح بورقيبة وأوهام القذافي، بوابة إفريقيا الإخبارية، تونس، الاسترجاع من :

<https://www.afriqatnews.net/article/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A%D8%AF%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3-%D9%88-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%B7%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D9%88-%D8%A3%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B0%D8%A7%D9%81%D9%8A/>

12 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

موضوعية إلى الوطن العربي، مساحةً وموقعاً وموارداً، تظهر أن قيام أي شكل من أشكال الوحدة العربية أمراً تفرضه مصالح الوطن الكبير، كما مصلحة كل قطر من أقطاره الكبير منه والصغير، الغني منه والفقير، حيث تتكامل عناصر الإنتاج مع شروط التنمية داخل وطننا العربي الكبير كما لا تتكامل في أي وحدة قائمة اليوم في العالم.

غير أن هذه الوحدة لم تتحقق، ولا أمل في الأفق القريب يلوح لتحقيقها، وللوقوف على أسباب هذه الفشل، واعتماداً على المنهجية العلمية- من خلال قراءة الواقع السياسي الليبي وتحليل معطياته - التي تضع أمام الباحث في الشؤون السياسية الخارجية الليبية كافة المؤشرات الإيجابية أو السلبية المتعلقة بالواقع السياسي ومدى جهوزيته نحو تأسيس الوحدة العربية، وكذلك من خلال تحليل الوثائق السياسية المتصلة بموضوع الوحدة يمكننا الوقوف على أهم المميزات السياسية لهذه المشاريع وهذا من أجل معرفة فلسفة وطرق إنفاذها لتحديد مكانم الضعف وأسباب الفشل. ستقوم الدراسة بتحليل الأسباب السياسية والأمنية من خلال عدة مطالب على النحو التالي.

المطلب الأول: التكتلات السياسية وتعارض المبادئ الوحدوية مع المصالح القطرية

بالعودة إلى قراءة السياق السياسي لأغلب المشاريع الوحدوية يتبين أن معظمها أتى تعبيراً عن محاور وتكتلات سياسية في إطار الصراع بين الأقطار العربية وحاجة بعضها إلى الاصطفاف.

على امتداد القرن الماضي لا سيما منذ الخمسينات شهدت المنطقة العربية صراعات حول خيارات سياسية وإستراتيجية بين بعضها البعض، ولم تكن مفصولة عن الصراع الخارجي على المنطقة ودخوله في دعم هذا الاستقطاب ضد آخر. كما سعت المغرب لاستقطاب ليبيا للاصطفاف معها في قضية الصحراء الغربية، وهذا عن طريق قبول الملك المغربي لمقترح مشروع الإتحاد العربي الإفريقي الذي طرحه القذافي.

وكثيراً ما كانت عرى المشاريع الوحدوية تنهاوى وتنفرط بمجرد زوال أو تقلص حدة التوتر بين الاستقطابات العربية. مما يعني أن هذه المشاريع الوحدوية لم تكن نابعة من خيارات

قومية كما كان يدعي أصحابها، بمقدار ما كانت جواباً وتعبيراً عن مصالح ضيقة لهذا الحاكم أو ذاك.

اتسمت جميع المشاريع الوحدوية، بأنها مشاريع فوقية أتت بمبادرة من الحكام ودون أن يكون لجماهير الأقطار المحددة دوراً في خيارها سلباً أم إيجاباً. لم يسبق الإعلان عن المشاريع الوحدوية أي نقاش داخل كل قطر بما يظهر التباينات بين بنى هذا القطر أو ذاك وكيف سيتم التعاطي مع الخصوصيات التي تشكل الأساس في انتماء هذه المجموعة أو تلك إلى الوطن الجديد، وهذا ما أوجب النزاعات الوطنية وانقسام الكيانات السياسية داخل القطر الواحد، والنتيجة هي إفشال مشاريع قومية كبرى بسبب الإختلاف الفكري أو في التوجه السياسي، كما حدث في مشروع الجمهورية العربية الإسلامية بين تونس وليبيا، حيث وُدت الفكرة في يومها الأول فقط لأن الوزير الأول التونسي اعترض عليها بسبب أن مهندس هذا المشروع من الجانب التونسي وزير يميل أكثر إلى فلسفة القذافي السياسية.

هذه الإنقسامات داخل القطر الواحد والتي أوجدها الطرح الخاطئ للفكر الوحدوي أصبحت عقبة أمام الوحدة العربية، " الصراعات والتناحرات بين مختلف التيارات السياسية والأنظمة السياسية والتي حولت الأفكار القومية والمشاريع الوحدوية إلى أداة صراع أكثر منها أداة وحدة وتقارب"¹⁷. كما دفع هذا الإنقسام السياسي بين الدول العربية وداخلها إلى الإعتقاد أن الدول العربية الكبرى ستبتلع الدول الصغرى وسيكون نفوذها الكلي أكبر من تلك الدول مما يهدد حقوقها، وأيضاً كان احتجاج الجناح الرفض للوحدة بين تونس وليبيا بسبب إثارة فكرة أن القذافي يريد الإستئثار بالسلطة ومحو الهوية الوطنية التونسية وصهرها في الهوية الليبية.

¹⁷ . الجاسور، ناظم عبدالواحد، الوحدة الأوروبية والوحدة العربية الواقع والتوقعات (عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2001) ص35.

المطلب الثاني: تأثير القوى السياسية الخارجية

المتغيرات الخارجية عرفها الكفارنة بأنها " كل العوامل الخارجية المؤثرة في عملية صناعة القرار السياسي، والتي يمكن حصرها في المحيط المادي والجغرافي"¹⁸ والتي تتمثل في النظام الدولي العام. وكما هو معروف فإن السياسة الخارجية للدول لا تتحدد فقط من خلال الأوضاع الوطنية وقيم صناع القرار، بل أيضا من خلال البيئة الإقليمية والعالمية التي يعملون فيها. فالمصالح الوطنية والنخبوية تتأثر بما ترغب الحكومات أن تفعل ولكن شروط النظام الدولي تحدد ما هم قادرين على فعله. ولهذا شروط النظام تحدد سلوك الدولة بطريقتين: "الأولى: هم يخدمون كمجموعة عوائق أو فرص، فيسمح للدول بمجموعة معينة من الاجراءات المحتملة. والثانية: شروط النظام تولد ضغوطات والتي تدفع أو تسحب الدول في اتجاهات معينة"¹⁹ ، وفقاً لهذا الطرح واستقراءً للواقع السياسي للدول العربية يظهر تأثير القوى الخارجية على توجهات السياسة الخارجية الليبية فقضية لوكربي مثلاً أدخلت السياسة الخارجية الليبية في نفق مظلم، وجعل كل خطوة تحطوها ليبيا في أي مشروع خارجي خاضع لضغط هذه القضية، إضافةً إلى أنها أنهكت ليبيا اقتصادياً، مما جعل مواقفها الخارجية في كثير من المحافل الدولية قليلة التأثير وإن لم تكون معدومةً، وهذا بالنظر إلى أن العامل الإقتصادي واعتماد ليبيا على النفط كانا من أهم نقاط القوة في سياستها الخارجية .

هذا بالإضافة إلى إن اعتماد السياسة الخارجية الليبية وغيرها من الدول العربية على مبادئ الاشتراكية وجعلها الملهم والمصدر الرئيس لتوجهاتها الدولية والإقليمية، "إن ثورة

¹⁸ . الكفارنة، أحمد عارف، العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، دراسات دولية، د.ت، العدد 30، 42.

¹⁹ . Kuri, M. T., Korany, B., & Dessouki, A. E. (2009). Bahgat Korany y Ali E. Hillal Dessouki. The foreign policies of Arab States: the challenge of globalization. Nueva edición revisada. Nueva York; El Cairo: The American University in Cairo Press, 2008. 494 p. *Foro Internacional*, 49(197), 690-696. p 494.

الثالث والعشرين من يوليو وثورة الفاتح من سبتمبر تصدران من نبع واحد وتسيران في طريق واحد وتتجهان إلى هدف واحد هو الحرية والإشترابية²⁰، "إنطلاقاً من الأهداف الأساسية التي آمنت بها جماهير الأمة العربية على امتداد الوطن العربي والمتمثلة في تحقيق الوحدة العربية وبناء الإشتراكية"²¹، هذا التوجه الإشتراكي المسيطر على فكر صانعي القرار السياسي أدى بشكل كبير إلى أفول فكرة الوحدة العربية مباشرةً بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط المعسكر الشيوعي الراعي الرسمي للإشتراكية، فأخر المحاولات الوحدوية العربية كانت في تسعينيات القرن العشرين وهي نفسها فترة انتهاء المعسكر الشيوعي الإشتراكي "فعندما لا تستطيع الدولة مواكبة سرعة التغيير التكنولوجي أو عندما تعتمد بشكل على تحالف قد اختفى، ستفشل باستمرار في تحقيق قيمها والمحافظة على أهدافها"²².

هذا التأثير بالمعسكر الخارجي والإنصياغ لتوجهاته في عدائه للرأسمالية والدول الغربية، دفع صناع القرار السياسي في ليبيا والدول العربية التي ناضلت من أجل المشروع الوحدوي إلى تحميل الفشل إلى القوى الخارجية بشكل كامل، وقد جعلوا نظرية المؤامرة شائعة لأغلب المشاريع الوحدوية، مما جعل صناع القرار السياسي يتغاضون عن الأسباب الحقيقية التي حالت دون تحقيق أي مشروع وحدوي، "ولا يزال قطاع كبير من العقلية العربية يميل إلى توظيف نظرية المؤامرة في تفسير عمليات التغيير السياسي بسبب موروثها

²⁰. خوري، المشاريع الوحدوية العربية 1913-1989، مرجع سابق، 457 - 46. وانظر:

http://www.moqatel.com/openshare/Wthaek/FreeDocs/GeneralDoc3/AGeneralDocs30_2-1.htm_cvt.htm

²¹. المرجع نفسه، 650.

²² . Frankel, J. (1969). National Interest: A Vindication. *International Journal*, 24(4), 717-725, p142

16 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

الثقافي وميلها إلى الغيبية أكثر من ميلها إلى السببية وألفها العيش طويلاً في دور(المفعول به) أمام القوى الاستعمارية²³.

المطلب الثالث: العوامل السياسية الداخلية لصناع القرار

مما لا شك فيه أن العوامل الخارجية لها تأثير كبير على صناعة السياسة الخارجية، إلا أن العوامل الداخلية إن لم تكن في المستوى المطلوب فهي تعتبر أيضاً من أكبر المعوقات أمام تحقيق أهداف السياسة الخارجية، وتنوع العوامل الداخلية التي من شأنها أن ترفع من مستوى فاعلية السياسة الخارجية أو تضعفها، فمنها العوامل الثقافية والفكرية، ومنها ما تتعلق بالنظام السياسي الداخلي وتركيبية المجتمع ... الخ.

وبما أن هذا البحث يدرس فكرة الوحدة العربية فيمكن اعتبار الخلافات السياسية بين الدول العربية من العوامل الداخلية التي عصفت بمشاريع الوحدة العربية، "فتمت محاولات نسف التضامن العربي، من خلال تضخيم المشاكل والخلافات السياسية والحدودية، وتشجيع التجمعات الإقليمية وتهيئة الأجواء لإدماج هذه التكوينات الإقليمية في هياكل دولية، حيث اللاحق والتبعية هو أساس العلاقة"²⁴.

أما فيما يتعلق بالبيئة السياسية لصناع قرار السياسة الخارجية في ليبيا فإنه يتمثل في المؤتمرات الشعبية الأساسية والتي هي المكون الرئيسي للإدارة السياسية في النظام السياسي الليبي، وهي كما عرفتها اللوائح والنظم الليبية "تتمتع بالشخصية الاعتبارية والذمة المالية المستقلة، وتكون العضوية فيها لكل مواطن أتم سن الثامنة عشر عاماً شمسياً، وتتولى المؤتمرات الشعبية الأساسية ممارسة السلطة وتسيير شئون الدولة والمجتمع في ليبيا، واتخاذ جميع القرارات المنظمة لشئون حياتها، ولها بصفة خاصة: اصدار القوانين في مختلف المجالات في ليبيا، كما يحق لها البث في شئون السلم والحرب، التصديق على

²³. مصطفى، الوحدة العربية بين (المنهجية العلمية) و(النزعة الرومانسية) . . رؤية استراتيجية. مرجع سابق.

²⁴. المرجع نفسه.

الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين ليبيا والدول الاخرى، تحديد علاقة ليبيا بغيرها من الدول، وضع وإقرار الخطط الاقتصادية والميزانيات العامة، وضع السياسات العامة في مختلف المجالات، واختيار ومساءلة أماناتها ولجانها الشعبية²⁵.

في الحالات العادية تعتبر هذه المؤسسات إضافة إلى المؤسسة العسكرية، وقيادة الدولة، والمستوى الإقتصادي من أهم العوامل المؤثرة في القرارات السياسية الخارجية، كما حددها أساتذة العلوم السياسية رغم اختلافهم في ترتيبها، والتي "تتضمن الجغرافيا، السكان والبناء الاجتماعي، القدرة الاقتصادية، القدرة العسكرية، البناء السياسي، اتجاه السياسة الخارجية، عملية صنع القرار، وسلوك السياسة الخارجية"²⁶، واختصرها ديب ماري في ثلاث عناصر: النظام الاجتماعي، المؤسسات السياسية المحلية، والنظام الاقتصادي²⁷.

هذا من جانب نظيري، أم واقعياً فالسياسة الخارجية الليبية تميزت بالفجائية في اتخاذ القرارات، مما جعل مهمة تنفيذ السياسة الخارجية شبه مستحيلة وهذا راجع لإصطدامها بالنظام السياسي الدولي، وعند مراجعة مشاريع الوحدة العربية التي كانت ليبيا طرفاً فيها نجد أن القرار الأول للإنخراط في أي من هذه المشاريع يعود للعقيد القذافي، حيث كانت أغلبها فجائية، لم تصدر عن دراسة مسبقة لتحقيق التوازنات للمصالح الوطنية مع الدول الأخرى، حيث كانت تمد جسور العلاقات مع الدول المنخرطة معها في الوحدة العربية وتحمل مصالحها مع الدول الأخرى، خاصة الدول الغربية التي لها هيمنة إقليمية ودولية على بعض الدول العربية، فصانع القرار السياسي في ليبيا لا يجد مسافة أمان مع الدول الأخرى تمكنه من تحقيق التوازنات للوصول إلى أهدافه.

²⁵ . قرار مؤتمر الشعبي العام رقم (14) بإصدار اللائحة العامة لقانون رقم (1) بشأن عمل المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، الباب الأول، المؤتمرات الشعبية الأساسية، مادة (1)، مؤتمر الشعبي العام، صدر في: سرت، بتاريخ 1 نوفمبر 2000 م، 3-4.

²⁶ . Kuri, et all. 2009, pp29-41.

²⁷ . Deeb, M. J. (1991). *Libya's foreign policy in North Africa*. Westview Press.P5.

وهذا ما يحيلنا إلى وجود تناقض كبير بين أهداف السياسة الخارجية وإجراءات تنفيذها ، فنجد أن السياسة الخارجية الليبية بُنيت على أفكار ومبادئ إيديولوجية قوية تمثلت في القومية العربية، إلا أن طرق وآليات تنفيذها تميزت بالتطرف والإستعجالية دونما أي دراسة، حيث أكدت الدراسات أن مثل هذه التناقضات تمثل وسائل تحوّل دون تحقيق أي أهداف سياسة خارجية أن " التناقضات داخل منظومة القيم، سواء بين التطلعات والسياسات الفعلية أو بين المصالح الواحدة، والخلل في مكون القيم مثل انهيار التقاليد السياسية، ودرجة منخفضة من التوافق السياسي، وعدم القدرة على ملائمة المبادئ الأيديولوجية القوية"²⁸. وقد أكد الباحث سالم البرناوي هذا الطرح في دراسة أجراها على السياسة الخارجية الليبية، حيث أعتبر أن غياب التخطيط الاستراتيجي غائب عن منظومة السياسة الخارجية الليبية، وهو أحد أهم المعوقات الداخلية، ويمكن تلخيص أهم معوقات التخطيط الإستراتيجي في السياسة الخارجية في النقاط التالية²⁹:

- الفراغ التشريعي الملزم والموجه للسياسة الخارجية.
- تأثير رأس النظام واستفراجه بالقرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية.
- اعتماد السياسة الخارجية على الارتجالية لغياب النصوص التشريعية المنظمة لها.
- غياب جهاز للتخطيط الاستراتيجي ودراسة القضايا الإقليمية.

المطلب الرابع: أنظمة الحكم السياسية

ساهم إختلاف أنظمة الحكم في تباين حاد في توجهات الدول العربية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بل وصلت إلى حد التناقض خاصة في سياساتها الخارجية وتحالفاتها الإقليمية، ففي العالم العربي تنوع أنظمة الحكم باعتبارها أنظمة ملكية، وأنظمة جمهورية وأنظمة جمهورية بالوراثة، هذا ما يحيل جل المشاريع الوحدوية إلى نقطة العدم، فحتى

²⁸ . Frankel, 1969, p 141.

²⁹ . سالم البرناوي، السياسة الخارجية الليبية، دراسة نظرية في المفاهيم والأهداف (طرابلس: مركز بحوث العلوم الاقتصادية، 2000) 32.

دعاة القومية العربية والوحدة العربية كانوا يعتقدون جازمين أن الأنظمة الملكية تعتبر حجر عثرة أمام الوحدة العربية وهذا ما يفسره تعجب القذافي من قبول ملك المغرب لمبادرته: "حتى العقيد القذافي، عندما أبلغه مبعوثه اقتراح الحسن الثاني، لم يصدق ما سمعت أذنه ولاحظ باستغراب أن ملكاً هو أول من استجاب لندائه الوحدوي"³⁰. هذه الاختلافات في أنظمة الحكم والتي وجهت السياسات الخارجية للدول العربية بشكل كبير أدت إلى ظهور تقسيم جديد للدول العربية من وجهة نظر غربية، دول معتدلة أي حليفة للغرب ودول متطرفة ممانعة ومقاومة للسيطرة الغربية.

العالم العربي واجه صعوبات كبيرة بسبب الخلافات السياسية حول بعض المواقف في قضايا مختلفة، وهذا يرجع الى غياب الإرادة السياسية للدول العربية والتي هي السبب الرئيسي في تلك الصعوبات التي واجهت العمل العربي المشترك حيث مازالت الدول العربية كل دولة لها موقفها السياسي المنفرد في بعض القضايا المهمة في الوقت الذي يتجه فيه العالم نحو إقامة تكتلات كبرى فعلية.

هذا بالإضافة إلى آليات الحكم السائدة في الدول العربية، حيث يستفرد الزعماء والقادة باتخاذ القرارات الرئيسية خاصة فيما تعلق بالتوجهات الخارجية، وغفلوا على أن نجاح الوحدة العربية يعتمد أساساً على اعتماد آلية مشاركة الشعوب في الحكم بشكل فعّال، حيث تعتبر هذه الخطوة ضامناً حقيقياً وصمام أمان لأي مشروع وحدوي، فالتفرد في

30. الصل، النوري (2018). مسلسل «الشرق» العربي والدولي (27): "يوم قطع يورقية العلاقات مع ليبيا"،

تونس، جريدة الشرق، الاسترجاع من:

<http://www.alchourouk.com/article/%D9%85%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84-%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%88%D9%82%C2%BB-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A-27%D9%8A%D9%88%D9%85-%D9%82%D8%B7%D8%B9-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B9-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7>

20 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

اتخاذ القرار من قبل الزعيم الأوحده الذي لا يخطأ أبداً يعتبر قراراً غير فعّال قبل صدوره، كما حدث في مشروع الوحدة بين تونس وليبيا الذي أنشئ من خلال لقاء واحد بين رئيسي الدولتين، وألغي بسبب رفض شخص واحد متمثل في شخص الوزير الأول التونسي الهادي نويرة والذي "عندما عاد إلى تونس طلب من الرئيس بورقيبة طرد وزير الخارجية محمد المصمودي الذي كان مع تفعيل الوحدة التونسية الليبية ومن المؤيدين للقذافي. وتابع بأن الوزير الأول لم يكن موافقاً على إبرام هذه الوحدة مضيفاً أن تشنجاً حاداً طغى على أعضاء الحكومة وقتها، ولهذا السبب قرر بورقيبة التراجع عن تطبيق ما كان قد وقع مع الرئيس الليبي"³¹. فأغلب قرارات المشاريع الوحدوية تمت على مستوى الزعماء والقادة، دون أي دراسة مسبقة تُذكر.

وعليه فإن الوحدة العربية والديمقراطية هدفان متلازمان يفتح أي تقدم لأحدهما على الآخر الطريق لتحقيق الهدف، إذ أن الخيار الحر لأبناء الأمة العربية هو الخيار الوحدوي إذا توفرت ديمقراطية حقيقية لهم، والوحدة العربية، أيّاً كانت صيغ العمل بها، تعطي القوى الشعبية قدرة أكبر على ممارسة حقوقها في المشاركة، ناهيك عن حقها في التعبير والتغيير. هذه الديمقراطية أو على الأقل أخذ تطلعات الشعوب وتوجهاتها بعين الاعتبار هو الغائب الأكبر عن أغلب المشاريع الوحدوية، فمعظم مشاريع الوحدة التي أبرمتها ليبيا كانت تعبر عن فكرة وتوجه وقرارات الزعماء.

ومن خلال تحليل ميثاق طرابلس المتضمن إتحاد الجمهوريات العربية، آخذين بعين الاعتبار الظروف السائدة في دول الإتحاد خلال تلك الفترة، يمكن لنا فهم هذه الإشكالية، حيث توجد هوة عميقة بين الشعوب والحكام وهي للأسف تزداد اتساعاً منذ تلك الحقبة، وقد أوضح البيان الأول الذي نشرته جريدة الأهرام المصرية في 28.

³¹. البرينصي، سنيا. "الوحدة بين تونس وليبيا.. بين مطامح بورقيبة وأوهام القذافي"، بوابة إفريقيا الإخبارية. مرجع سابق.

12. 1969، أي بعد ثلاث أشهر من تولي القذافي حكم ليبيا هذه الإشكالية، حيث جاء فيه " إن لقاء الرؤساء الثلاثة يقيم جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان ...، وإن لقاء القادة الثلاثة في طرابلس وسيبرهم جنباً إلى جنب على فكر واحد وقلب واحد ... لقد وضع القادة العرب الثلاثة أمامهم كل هذا مؤكدين على أهمية العمل الموحد"³². فقرار مصيري يتعلق بشعوب هذه الدول تم إنفاذه فقط لأن زعماء هذه الدول رأوا ذلك، ولم يلتفتوا للأوضاع الداخلية لبلدانهم، وهم خارجين للتو من وطأة الإستعمار الغربي الذي دمر كل شيء، ففي فترة مثل هذه تحتاج إلى البناء الداخلي وتهيأت الشعوب لمثل هكذا قرارات مصيرية.

إن إرتباط المشاريع الوحدوية بالزعماء، واستفرادهم بالقرارات المصيرية، وتغييب دور مؤسسات صناعة القرار السياسي - إلا من الدور الذي تُكلف به بعد اتخاذ القرارات المصيرية كتأسيس لجان مشتركة لتنفيذ هذه القرارات أو لتحضير مشاريع قوانين لتحقيق الوحدة - يعتبر أحد أهم أسباب فشل مشاريع الوحدة العربية، وهذا إذا أخذنا تجربة الإتحاد الأوربي كنموذج وحدوي ناجح، حيث ارتبط مشروع الإتحاد الأوربي بالمؤسسات التشريعية والسياسية في الدول الأوروبية، ما حقق لهذا الإتحاد أسباب الإستقرار والإستمرارية، و"إن عملية التطور الوحدوي في العالم العربي، تعلقت بإرادة الحكام و ليس بقرار المؤسسات ولعل أحد الفروق الرئيسية بين تجربة الإتحاد الأوربي و المحاولات العربية للوحدة أن المؤسسة كانت هي راعية التجربة الأولى بينما كان الأفراد هم الرعاة في المحاولات العربية"³³.

³². انظر: ديباجات وبيانات وثائق إتحاد الجمهوريات العربية، بيان الوحدة بين ليبيا ومصر، وإعلان الوحدة بين ليبيا وسوريا.

³³. تركي الحمد (2018). "أسباب فشل الوحدة العربية، مركز عرب للدراسات والأبحاث"، الإسترجاع من:

<https://arabcenter.wordpress.com/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D9%8A%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D9%89-%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%81%D8%B4%D9%84->

المطلب الخامس: هاجس الأمن القومي والكيان الصهيوني

أثبتت الأحداث والتطورات كلها أن ما نالته الدول العربية من استقلال في العقود الماضية بقي استقلالاً منقوصاً ومنتهاكاً على الدوام من قوى خارجية تتفوق علينا في موازين القوى، بدءاً من اغتصاب كامل للأرض كما في فلسطين، وصولاً إلى أراض عربية محتلة أو مسلوبة من أقصى المغرب العربي إلى أقصى المشرق، ناهيك عما نشهده حالياً من حروب وقواعد أجنبية وتدخلات خارجية مباشرة في العديد من أقطار الأمة.

هذا ما يجعل الأمن الوطني لكل قطر، مهما كان هذا القطر كبيراً، مرتبطاً بالأمن القومي للأمة، وأن السيادة الوطنية لكل بلد هي جزء لا يتجزأ من السيادة القومية، وهذا الهاجس الأمني كان الدافع الحقيقي لكل التحركات الحدودية بين الدول العربية بشكل عام، وبشكل خاص كان المحرك الرئيسي للسياسة الخارجية الليبية، وبالعودة إلى محددات السياسة الخارجية الليبية من اتساع المساحة وقلّة عدد السكان إضافةً إلى غنى الدولة بالموارد الطبيعية مما يجعلها عرضةً للأطماع الغربية، يمكن أن يشرح الباحث في الشأن الليبي تركيز صانع القرار السياسي على بند الدفاع الأمني المشترك في كل مشاريع الوحدة، بل تكاد تكون البنود الوحيدة الواضحة في أغلب المشاريع الحدودية التي كانت ليبيا طرفاً فيها، وعلى سبيل الذكر لا الحصر يمكن أن نورد الأمثلة الآتية:

جاء في ميثاق طرابلس لمشروع إتحاد الجمهوريات العربية " إن لقاء الثورات الثلاث متمثلة في قادتها ليجسد القضية المقدسة لأمتنا ضد الاستعمار والصهيونية وفيه الرد الحاسم من أمتنا على الهزيمة ورفضها وتأكيد جازم على أصالة شعبنا وقدراته النضالية الخلاقة إنه أمل جديد تلتف حوله جماهيرنا العربية وتعطيه دعمها وتأييدها"³⁴، وجاء في

%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1/

³⁴. وزارة الخارجية الليبية (1969). البيان المصري السوداني الليبي المشترك - ميثاق طرابلس الوحدوي، الوثائق

العربية، رقم 463. 781-782.

أحكامه الأساسية أن "الهدف من قيام اتحاد الجمهوريات العربية هو العمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة وحماية الوطن العربي"³⁵. وقد وردت عبارات الأمن القومي ومحاربة العدو الخارجي وتحرير الأراضي الفلسطينية في كل وثائق هذا المشروع، واللافت للانتباه أن هذا المشروع والذي يعتبر أكثر المشاريع الوحدوية جدية ومدة زمنية، لم يتكلم عن تأسيس جيش موحد أو طرق التنسيق بين جيوش دول الإتحاد حين تكلم عن تشكيل مؤسسات الإتحاد، لكن ترك أمور الجيش خاصة بكل زعيم، مما يبعث على التساؤل في كيفية تحقيق الأمن أو محاربة العدو أو تحرير الأراضي العربية التي مازالت تحت الاحتلال، وهذا المشروع لم يُحدد آليات عمل الجيوش أو التنسيق بينها، بل جاءت وفق مبدأ الفصل لا الوحدة " تكون القيادة العامة للقوات المسلحة في كل من الجمهوريات الداخلة في الإتحاد لرئيس الجمهورية أو لمن تحدده النظم المعمول بها في كل جمهورية"³⁶.

غير أن الملاحظ ورغم التركيز على نقطة الأمن القومي العربي وخطط الدفاع المشترك في كل المشاريع الوحدوية محل الدراسة، إن زعماء بعض الدول العربية، ولأسباب متعددة، يصبحون جزءاً من منظومة العدوان على دول أخرى، وانقلب موضوع الأمن العربي المشترك من حافز وحدوي إلى سبب من أسباب التفرقة وعقبة كبيرة أمام أي مشروع وحدوي.

ففي دراسة لبحث أسباب تعثر مشروع الوحدة العربية وصل الباحث يوسف مكي إلى ثلاث أسباب أدت إلى هذا الفشل " ضعف التشكيلات الاجتماعية في الوطن العربي، وزيادة انتاج النفط والتصحيح النسبي في أسعاره، والمعالجات القطرية لقضايا الامن

³⁵. المصدر السابق.

³⁶. وزارة الخارجية الليبية (1971). الأحكام الأساسية لإتحاد الجمهوريات العربية. بنغازي: الوثائق العربية. رقم

24 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

القومي"³⁷. حيث كان القادة العرب ينخرطون في تحالفات خارج المنظومة العربية لضمان أمن بلدانهم ومراكزهم، وللتوضيح أكثر يمكن الرجوع إلى الأثر الكبير والسليبي على مشروع الوحدة لما قام به السادات من إبرام اتفاقية السلام مع الكيان الصهيوني دون موافقة الدول العربية.

هذا الكيان الذي أبرم معه السادات إتفاقية سلام تم إنشاؤه على أرض فلسطين العربية كحاجز يمنع توحيد شطري الوطن العربي الكبير ويسعى إلى زرع بذور الفتنة والنزاع في كل المجتمعات العربية والإسلامية.

اهتمت السياسة الخارجية الليبية بهذا الكيان كونه أكبر خطر يقف أمام وحدة العالم العربي، حيث كان أهم مبادئ النظام الليبي، والذي قامت عليه كل المحاولات الوجدوية، فأهم الأهداف السياسية والعسكرية لفكرة الوحدة العربية في السياسة الخارجية الليبية كان تحرير الأراضي المحتلة ومحاربة الكيان الصهيوني، لذا نجد أنه كان حاضراً في كل الخطابات لكن رغم هذا عند مراجعة نصوص ووثائق المشاريع لا نلمس الجديدة، حيث غابت الآليات وطرق تحرير الأراضي المحتلة اللهم إلا البنود العامة والمُبهمّة.

المبحث الثالث

الأسباب الاقتصادية

تمهيد:

الجانِب الإقتصادي يمكن دراسته فيما يتعلق بموضوع الوحدة العربية في السياسة الخارجية الليبية على إعتبارين، الأول كمقياس أو وسيلة لتحقيق الوحدة العربية المنشودة، فهو يعتبر الخطوة الأولى لتحقيق الوحدة العربية الشاملة، وهذا ما لم يتحقق للأسف في العالم العربي، فنظرة سريعة على الواقع السياسي العربي تبين أن كل المحاولات الوجدوية العربية

³⁷. مكي، يوسف، في الوحدة العربية والتداعي: دراسة في أسباب تعثر مشاريع النهضة العربية، مرجع سابق،

باءت بالفشل، بل إن فشلها تعدى إلى الجوانب الإقتصادية "فحتى الجهود التي بذلت من أجل الاندماج والتعاون الاقتصادي كان نجاحها محدوداً" ³⁸ ، فأثر ذلك بشكل كبير على الحركة التجارية بين الدول العربية حيث زاد مؤشر تبعيتها التجارية للدول الأجنبية فمثلاً "ليبيا كان مؤشر تبعيتها التجارية عام 1970 38.3٪ و زاد في عام 1984 إلى 45.4٪" ³⁹ ، وثبط كل محاولات التكامل أو التعاون الإقتصادي، "وما يسمى بالاندماج السياسي أنهى بالتأكيد على التعاون الاقتصادي وتعزيز التجارة العربية البينية" ⁴⁰ .

أما الإعتبار الثاني فيعتبر عامل تأثير قوي على صناعة السياسة الخارجية، فالنظم الإقتصادية الضعيفة تعتبر مشكلة تواجه صانع القرار السياسي، على أساس أن الدول ذات الإقتصاد الضعيف تهيمن عليها الدول الأقوى اقتصادياً، فصناعة السياسة الخارجية تفرض على الساسة توفر مرونة التموضع داخل منظومة المصالح المتضاربة في العلاقات الدولية، فمثلاً أن الأسباب الحقيقية لغارة الولايات المتحدة الأمريكية على ليبيا عام 1986 تعود إلى عام 1969 ، عندما تم قلب نظام الإقطاع في ليبيا ... وقيام ليبيا بتأمم نفطها من الشركات الاحتكارية" ⁴¹ ، فمعضلة تأثير الدول الكبرى لامتلاكها أدوات التأثير، تضعف قدرة المخطط في العمل الخارجي في ليبيا على التخطيط الحقيقي المؤثر إقليمياً ودولياً.

ومن جهة أخرى فهيمنة الدول الغربية على الإقتصادات العربية كانت من أهم الأسباب وراء الإخفاق في تحقيق وحدة عربية في الجانب الإقتصادي، إضافةً إلى ضعف منظومة

³⁸ . Ibid, p 60.

³⁹ . رابطة المعاهد والمراكز العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، التكامل الاقتصادي العربي في الخروط 13-15 فبراير 1989 (تونس: مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية، أكتوبر 1989) 44.

⁴⁰ . Kuri, et all, 2008, p48.

⁴¹ . عوض، الهزيمة محمد، قضايا دولية- تركه قرن مضى وحمولة قرن أتى (عمان: جامعة العلوم التطبيقية، ط1، 2005) 61.

الإقتصاد في كل دولة عربية واعتماد أغلبها على الثروة النفطية، وقد لخص الباحث عبد الحميد ابراهيمي أسباب إخفاق التكامل الإقتصادي في عدة نقاط منها "المناهج المستخدمة للتكامل، التبعية الاقتصادية والمالية، اختلال الهياكل الاقتصادية، تقليد الغرب، صعوبات تطبيق القرارات المشتركة للتعاون والتكامل"⁴². إن فشل الجهود الاقتصادية لتحقيق الوحدة العربية يمكن رده لجملة أسباب سوف نتناولها في المطالب التالية.

المطلب الأول: تباين الثروة بين الدول العربية

بعد اكتشاف النفط في المنطقة العربية، تباينت الدول العربية بين دول غنية بالموارد النفطية كبيرة المساحة ضعيفة الكثافة السكانية، ودول فقيرة تعدادها السكاني كبير جداً، مما أدى إلى ظهور الطبقة بين الدول العربية، وجعل هذه الموارد الهائلة هاجس وعقبة كبيرة أمام مشاريع الوحدة العربية، "فيعتبر الاختلاف الكبير والتباين في مستويات المعيشة بين مختلف الدول العربية من أهم وأقوى عقبات التكامل الاقتصادي والتوحيد السياسي، حيث نجد في الدول العربية دولاً غنية ودولاً فقيرة"⁴³. ليس هذا الجانب السلبي فقط للثروة النفطية في العالم العربي، فهو أيضاً يسبب القلق للدول النفطية جراء تهديد القوى الغربية لاستغلالها أو الضغط عليها، وهذا من شأنه أن يوجه توجهاتها السياسية الخارجية.

أما الدول الغير نفطية أو الفقيرة في العالم العربي فهي تتخبط في البطالة المتفشية، إضافة إلى هجرة الأدمغة والكفاءات، فضلاً عن الفقر السائد فيها، وهذا أيضاً يجعل سياستها الخارجية مكبلية بسبب تبعيتها الغذائية. هذا الواقع نتج عنه فرقاً كبيراً في مستويات

⁴². إبراهيمي، عبد الحميد، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ديسمبر 1996) 360-361.

⁴³. لبيب، شقير محمد، الوحدة الاقتصادية العربية تجاربها وتوقعاتها، ج1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 1986) ص 179.

الدخل بين شعوب الدول العربية مما باعد بين الوطن العربي وحلم الوحدة المنشود " وأن من أسباب تعثر الاتحادات السياسية بين الدول العربية هو التفاوت في دخل الفرد العام، وخاصةً بين الدول النفطية وغيرها"⁴⁴.

هذه المعطيات كلها تفرض على الدول العربية تحقيق التكامل الإقتصادي على الأقل كخطوة أولى في طريق الوحدة، أو الإكتفاء بالجانب الإقتصادي فهو يضمن للعالم العربي تحقيق الإكتفاء الذاتي، مما يعزز أمنه القومي بشكل عام، وهذا لم يغيب طبعاً عن صانع القرار السياسي الليبي، فقد وردت مواد وبنود في كل وثائق مشاريع الوحدة محل الدراسة، لكن أغلبها صدر بقرارات من الزعماء وكان بعضها في بداية هذه المشاريع، مما يوحي أنها صادرة دون أي تخطيط مسبق ومن الأمثلة على مثل هذه القرارات ، الشركة العربية للإستثمار التي أسستها ليبيا سعياً منها لتحقيق وحدة اقتصادية، غير أن إدارة هذه المؤسسة كانت خاضعة هي أيضاً لتوجهات صانع القرار السياسي، فأصبحت أداة من أدوات السياسة الخارجية وأفرغت من هدفها الإقتصادي الوحدوي.

هذه الأمثلة وغيرها مما ورد في وثائق الوحدة يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن المؤسسات السياسية الليبية ، وفي غيرها من الدول التي شاركت ليبيا هذه المشاريع الوحدوية، عادةً ما يبدأ دورها بعد اتخاذ القرارات الوحدوية بشكل منفرد من قبل الزعماء، مما يجعل هذه البنود واللوائح مجرد ملء للفراغ، ومحاولة عبثية لإضفاء الجدوية على هذه المشاريع، وهذا ما يمكن اعتباره احدى أكبر سلبيات الفكر القومي العربي، ففي التجارب الوحدوية محل الدراسة نجد أن هذه المشاريع بنيت على قناعات وآراء سياسية بحتة، حيث نجد تفاوت بين الدول من حيث الكثافة السكانية والمساحة والثروة الإقتصادية، دون أخذ هذه المقومات بعين الإعتبار.

⁴⁴. البيطار، نديم، من التجزئة...الي الوحدة، القوانين الأساسية لتجارب التاريخ الوحدوية، مرجع سابق، 370

المطلب الثاني: عدم جدية الاتفاقات الاقتصادية

عدم وضوح الفوائد للأطراف الضالعة بمشاريع الوحدة للتكامل الإقتصادي، بسبب قلة الدراسات أو المعلومات، قلة القناعة لدى صناع القرار بجدوى الوحدة الإقتصادية كخطوة أولى، وتركيزهم على الشق السياسي في قضية الوحدة العربية جعلهم يتبنون عدة مشاريع إقتصادية في إطار المشاريع الوحدوية، ومن ضمنها القرارات الإقتصادية التي صدرت في الإعلان الدستوري للوحدة بين مصر وليبيا في 29 سبتمبر 1973، المادة الخامسة : يتم بقرار من القيادة السياسية الموحدة اصدار الدينار العربي الحسابي اعتباراً من سبتمبر 1973، المادة السادسة : يتم اعتباراً من سبتمبر 1973 وبقرار من القيادة السياسية الموحدة اعلان إنشاء منطقة اقتصادية حرة على جانبي الحدود⁴⁵، الملاحظ أن هذه القرارات سريعة الإتحاذ وسريعة التنفيذ، والواضح صدورها من رئيسي البلدين، دون الرجوع إلى المختصين في المجال الإقتصادي، لوضع آليات لتحقيق هذه الأهداف، إضافة إلى التناقض الواضح في هذا الطرح والذي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك إهمال الشق الإقتصادي وعدم الجدوية فيه، فكيف يعقل إنشاء منطقة حرة في دولة موحدة.

كما تطرقت بعض وثائق مشاريع الوحدة بين ليبيا ودول عربية أخرى إلى موضوع هام في العملية الإقتصادية، لكن أيضاً تم معالجته عن طريق قرارات سياسية جاءت ناقصة حيث تناولته من الجانب التشريعي ولم تتطرق للبنية التحتية التي من شأنها أن تحقق الهدف من التشريعات المقررة. ورد في وثائق الوحدة الحديث عن المواصلات وحرية انتقال الافراد والسلع والرأسمال دون عوائق (بما فيها إلغاء التأشيرات بين الدول العربية)، غير أنها لا تعتبر خطوات جادة وفعالة لأنها أغفلت الجانب الأهم في عملية المواصلات، فلم تشر إلى أية مشروعات أو اقتراحات مشاريع بنية تحتية لربط دول الوحدة بشبكات طرق أو

⁴⁵. وزارة الخارجية الليبية (1972). بيان الوحدة بين مصر وليبيا. طرابلس الغرب: الوثائق العربية. رقم 259.

سكة حديدة تنهض بقطاع المواصلات بين الدول العربية الذي يعاني التخلف، بل ومنعدم تمام بين عدة دول عربية.

تم ربط المشاريع والإجراءات الإقتصادية بالمؤسسات السياسية، وإهمال القطاع الخاص لما له من تأثير في صناعة الوحدة على المستوى الشعبي، ويمكن تبرير هذا لاعتماد النظام الإشتراكي في ليبيا والدول التي شاركتها طموحها الوجدوي، لكن هذا لا يبرر إهماله على مستوى الشركات العمومية والقومية التابعة للدولة. وهذا ما بينه الباحث الإمام محمد في دراسة عن العمل الإقتصادي المشترك حيث أرجع أسباب فشل التكامل الإقتصادي إلى "ارتباط أعمال التكامل الاقتصادي العربي بالأجهزة الرسمية، وغياب حركة شعبية مناضلة من أجل الوحدة العربية"⁴⁶.

هذا بالإضافة لعدم تطرق كل وثائق المشاريع للمجال الصناعي، حتى الصناعات الحربية لم يرد ذكرها، وهذا ما أضعف القاعدة الإنتاجية لليبيا وأغلب الدول العربية الأخرى، وجعلها تقبع تحت هيمنة الدول المنتجة.

المطلب الثالث: غياب الإرادة السياسية في تحقيق الوحدة الاقتصادية

فشل مشاريع الوحدة في السياسة الخارجية الليبية يرجع في الأساس إلى غياب الإرادة السياسية الكافية لتحقيق التكامل الإقتصادي، رغم تناولها لهذا الموضوع في أغلب المشاريع، وهذا راجع لتعارض المصالح والأهداف والرؤى والتوجهات والاستراتيجيات بين ليبيا والدول العربية الأخرى، وخاصةً فيما يتعلق بالتعاون الإقتصادي. هذا الطرح أكده الدكتور أحمد جويلي الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية، حيث قال: "إن التجارب الأوروبية والدولية للوحدة أكدت أن الاقتصاد والمصالح المشتركة هما أساس لأية وحدة والركيزة لأي تعاون، غير أن المشروعات الوجدوية العربية عندما تتم فهي تتم من

⁴⁶. محمود، الإمام محمد (يونيو 1997). "العمل الاقتصادي العربي المشترك تقيمه ومستقبله"، المجلة المصرية للتخطيط، مجلد 5(1)، 29.

30 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

منظور سياسي بحث ربما لخدمة توجهات مرحلية ما تلبث أن تزول وبعدها ينتفي الهدف من تجربة الوحدة⁴⁷.

رغم سعي السياسة الخارجية الليبية إلى تحقيق التكامل الإقتصادي من خلال تحقيق الوحدة العربية، وتناولها لهذا الجانب في أغلب الإتفاقيات الوحدوية المبرمة، إلا أن أغلب البنود والقرارات الإقتصادية تفتقر إلى الدقة في الهدف المرجو منها، إضافةً إلى تغاضيها عن وسائل وآليات تحقيق الأهداف الإقتصادية، كما أنها تتجاوز مرحلة الدراسات وجمع البيانات والمعلومات عن الأنشطة الإقتصادية لليبيا والدول التي تشاركها المشاريع الوحدوية، فتأتي القرارات وفق هذا مجرد قرارات سياسية تفتقر للجوهر الإقتصادي. أيضاً غياب التنسيق الإقتصادي بين الدول المقبلة على الوحدة مع ليبيا، بسبب عدم وضع تشريعات تعالج تعارض المصالح الإقتصادية، والتوجهات الخارجية للسياسات الإقتصادية، إضافةً إلى الإختلاف الكبير بين الهياكل الإقتصادية لدول الوحدة، حيث تعتمد ليبيا في دخلها بنسبة تقارب 100 % على منتج واحد -النفط-، بخلاف الأطراف الأخرى المشاركة معها في الوحدة، حيث الاعتماد على السلع الأولية والصناعة البسيطة إلى نسبة مماثلة ولم تتمكن الدول العربية خلال فترة زمنية طويلة تغيير هياكلها الاقتصادية وتنويع قواعدها الانتاجية بشكل يحو عنها صفة الاختلال الهيكلي، فهي افتقرت ومازالت تفتقر إلى العوامل أو القوى الديناميكية اللازمة لتصحيح الاختلالات الهيكلية الاقتصادية، بعبارةً أخرى هي تفتقر إلى الإرادة السياسية الحقيقية لتنظيم هياكلها الإقتصادية بما يضمن تكاملاً حقيقياً.

المطلب الرابع: تغليب الأيديولوجي على الاقتصادي

47 . إبراهيم، سباعي وآخرون (2010) التجربة الخليجية وحدها صمدت أمام أعاصير الزمن تعددت ظروف وحدة العرب والفشل واحد، البيان، الاسترجاع من:

في الوقت الذي تتطلع فيه معظم دول العالم وشعوبها وخصوصاً تلك التي لديها قواسم وروابط مشتركة إلى الوحدة والتكامل الاقتصادي والسياسي يعاني العرب من واقع الفرقة والتجزئة رغم علم قادة الدول العربية آنذاك بما تمتلكه الدول العربية من هذه المقومات، " الشعب المصري والشعب الليبي تجمعهما عوامل وثيقة وصلات متعددة جغرافية واقتصادية وتاريخية وسياسية وبشرية وفكرية تلقي عليها إزاء الأمة العربية مسؤوليات والتزامات"⁴⁸. هذا الخطاب وغيره مما تضمنته وثائق المشاريع الوحدوية جاء ضمن بيان إعلان الوحدة بين ليبيا ومصر، وقد سبقته تجارب مماثلة، غير أنه كرر ما سبقه من تجارب، وكأن المتغيرات العالمية السياسية والاقتصادية والأمنية التي يشهدها العالم لا تعني لهؤلاء الزعماء ولم يستفيدوا من التجارب الفاشلة التي مرت بهم، وبقيت المشاريع الوحدوية تدور في الفلك الإيديولوجي متناسية الجانب الاقتصادي الذي يعتبر أهم مراحل الوحدة وهذا ما أثبتته تجارب أخرى مثل تجربة الإتحاد الأوربي .

المحاولات الوحدوية فشلت لأنها لم تدرس مسألة الوحدة بعناية ولم تهئ الظروف الموضوعية التي تضمن استمرارها، إضافة إلى أن معظمها جاء كمحصلة لاندفاع عاطفي دون دراسة علمية وموضوعية لكافة العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحيط بظروف نشأتها، لذا آلت بعضها إلى تجمعات إقليمية هشة لا تنسجم، بل تتناقض مع مفهوم التكامل والعمل العربي المشترك. وهذا ما بينه الباحث في العلوم السياسية الدكتور أحمد محمد البتول " إن فشل التجارب الوحدوية التي عرفها العالم العربي في العصر الحديث يرجع إلى أنها قامت بناء على منظور سياسي وأيديولوجي أحادي ولد من رحم حركات التحرر التي سادت في النصف الثاني من القرن الماضي، بما كانت تحمله

⁴⁸ . وزارة الخارجية الليبية (1972). بيان الوحدة بين مصر وليبيا. مصدر سابق.

32 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

من مشاعر عاطفية جياشة بفعل زخم التعبئة الأيديولوجية التحررية التي سادت حينه.⁴⁹

الأمر الذي أدى إلى إغفال معطيات الواقع ومكوناته وخصوصياته وهذا ما يتجلى واضحاً في ديباجات مشاريع الوحدة منها على سبيل الذكر لا الحصر ما جاء في وثيقة إتحاد الجمهوريات العربية "وصولاً الى تحقيق التغيير الاجتماعي والتقدم الاشتراكية لمصلحة الجماهير العربية، الأمر الذي يوفر الشروط الموضوعية لتحقيق الوحدة العربية أمل أمتنا المناضلة، وإن لقاء الرؤساء الثلاثة يقيم جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان في تجانس حضاري أخذاً بأسباب التقدم مهيباً لاستيعاب روح العصر وتحدياته نحو حياة مادية وروحية تليق بالإنسان العربي"⁵⁰. هذا كل ما تعلق بتحقيق الرفاهية والرقي للشعوب العربية، حيث افتقر مشروع إتحاد الجمهوريات العربية إلى أي تخطيط إقتصادي حقيقي، حيث يؤكد على الجوانب الفكرية والمنطلقات الإشتراكية .

إن بناء وحدة عربية إنطلاقاً من أرضية إيديولوجية موحدة على مبادئ وأسس واضحة يعتبر خطوة مهمة، لكن أن تُحمل الجوانب الأخرى لتحقيق مشروع الوحدة هو الخطأ الجسيم الذي أدى إلى إختيار جميع المشاريع الوحدوية، فالعامل الإيديولوجي يعتبر موجه لعملية الوحدة، ومحركها الرئيس هو الجانب الإقتصادي، فبدون بناء اقتصاد عربي متكامل وقوي ستبقى فكرة الوحدة العربية تراوح مكانها وتدور في فلك التنظير والصراعات السياسية.

المطلب الخامس: عدم التدرج في الوحدة:

إن مسألة التدرج في الوحدة مهمة جداً، فالبدء بالتكامل الاقتصادي على اعتباره أنه المقدمّة الطبيعية للاندماج السياسي، لأن التكامل الاقتصادي يتيح للدول العربية

49. الحمد، أسباب فشل الوحدة العربية. مرجع سابق.

50. وزارة الخارجية الليبية. إعلان إتحاد الجمهوريات العربية. مصدر سابق. ص 463.

الأستغلال الأمثل للموارد البشرية والطبيعية والمالية، ويساعد على ترشيدها بشكل مثالي، مما ينظم العمليات الإنتاجية، وهذا من شأنه أن يعزز فرص الإستثمار وتنميتها، ويسهل تنفيذ مشاريع اقتصادية كبرى مشتركة، كما أنه يعطي للسياسة الخارجية فرص ومرونة في توجيهاتها الدولية والإقليمية، مما يخرج الدول العربية من دائرة الضغط الخارجي. غير أن صانع القرار السياسي الليبي غابت عنه فكرة التدرج في جل المشاريع الوحدوية التي قررها، فعند تحليل وثائق الوحدة العربية بشكل عام، وفي بنود الإتفاقات أو البيانات المعلنة للوحدة بين ليبيا والدول العربية الأخرى بشكل خاص نجد التسرع في إبرام الإتفاقيات، وتجاوز مراحل كثيرة في مثل هذه المشاريع، وهذا يظهر جلياً في مشروع الوحدة الشاملة بين ليبيا ومصر.

حيث تضمنت المادة الرابعة "وضع دستور دولة الوحدة، تقديم شخص رئيس الجمهورية للاستفتاء عليه، ويجري بعد ذلك الاستفتاء الشعبي في كل من البلدين على دستور دولة الوحدة وشخص رئيس الجمهورية"⁵¹. أو كما جاء في وثيقة أخرى "إلى أن يتم صدور قانون اتحادي ينظم شؤون الجنسية الموحدة للاتحاد، تتولى كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد تنظيم الشؤون المتعلقة بجنسية مواطنيها في نطاق الأسس العامة التي يصدر بها قانون اتحادي ... والعمل على توحيد النظم والسياسات الاقتصادية والمالية في الجمهوريات الاعضاء وتقديم الخدمات الاحصائية والمحاسبية التي تهم مجموع هذه الجمهوريات"⁵². هكذا توالى أغلب قرارات الوحدة، تسعى إلى وحدة شاملة وبطرق فجائية وسريعة، متجاوزة كل المراحل.

إن التدرج في تحقيق الوحدة سيحقق الرضا لدى المواطن العربي، ويمنحه شعوراً إيجابياً حول حقيقة الوحدة، وأن مصلحته في استمرار التكامل الاقتصادي بل وتطويره إلى

⁵¹. المصدر نفسه. ص 463.

⁵². نفس المصدر، ص 440.

34 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

مراحل متقدمة، من خلال فتح المجال للخواص لتحقيق الاندماج الاقتصادي الكلي، ليتحقق الاندماج السياسي بسلاسة، وهذا الأمر مع الأسف لم تضعه التجارب الوحدوية في الحسبان وإنما ركزت على العامل السياسي قبل الاقتصادي.

المصادر والمراجع

قرار مؤتمر الشعبي العام رقم (14) بإصدار اللائحة العامة لقانون رقم (1)

بشأن عمل المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، الباب الأول، المؤتمرات الشعبية الأساسية، مادة (1)، مؤتمر الشعبي العام، صدر في: سرت، بتاريخ 1 نوفمبر 2000 م.

وزارة الخارجية الليبية (1969). ميثاق طرابلس. طرابلس الغرب: الوثائق العربية. رقم 463.

وزارة الخارجية الليبية (3197). بيان الوحدة بين مصر وليبيا. طرابلس الغرب: الوثائق العربية. رقم 259.

وزارة الخارجية الليبية (1969). البيان المصري السوداني الليبي المشترك - ميثاق طرابلس الوحدوي. طرابلس الغرب: الوثائق العربية. رقم 463.

وزارة الخارجية الليبية (1971). الأحكام الأساسية لإتحاد الجمهوريات العربية. بنغازي: الوثائق العربية. رقم 202.

البرناوي، سالم، السياسة الخارجية الليبية، دراسة نظرية في المفاهيم والأهداف (طرابلس: مركز بحوث العلوم الاقتصادية، 2000).

بن ددوش، محمد، رحلة حياتي مع المكرفون (الرباط: دار أبي رزاق، 2011).

- البيطار، نديم، من التجزئة ... إلى الوحدة- القوانين الأساسية لتجارب التاريخ
الوحدوية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربي، ط5، فبراير 1986).
- الجالسور، ناظم عبدالواحد، الوحدة الأوروبية والوحدة العربية الواقع والتوقعات
(عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2001).
- عوض، الهزائم محمد، قضايا دولية- تركه قرن مضى وحمولة قرن أتى (عمان:
جامعة العلوم التطبيقية، ط1، 2005).
- براهيمي، عبدالحميد، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ديسمبر 1996).
- ليبيب، شقير محمد، الوحدة الاقتصادية العربية تجاربها وتوقعاتها، ج1 (بيروت:
مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 1986).
- محمود، الإمام محمد، "العمل الاقتصادي العربي المشترك تقييمه ومستقبله"،
المجلة المصرية للتخطيط، المجلد الخامس، العدد 1، يونيو 1997.
- الكفارنة، أحمد عارف، "العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة
الخارجية"، دراسات دولية، د.ت، العدد 42.
- خوري، يوسف، المشاريع الوحدوية العربية 1989-1913 دراسة توثيقية،
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، يوليو 1990).
- حسين، حسين السيد، " نحو مشروع قومي عربي معاصر-دراسة في الفكر
السياسي العربي المعاصر "، مجلة جامعة دمشق، العدد: 2، المجلد: 61، 2000.
- "مشروع ميثاق الوحدة بين ليبيا والسودان". جريدة الوطن العربي. باريس:
العدد 87. 11 نوفمبر 1988م.
- سالم. صلاح. "معالم على طريق تجديد الفكر القومي العربي". مجلة شؤون
عربية. القاهرة: شتاء 2004.

36 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969-1999

الفهداوي. ذياب عبود حسون. "دولة إتحاد الجمهوريات العربية"، مجلة الملوية للدراسات لدراسات الأثرية والتاريخية، العدد 6، المجلد 3، السنة الثالثة. أكتوبر 2016م.

مصطفى، عبد التواب، الوحدة العربية بين (المنهجية العلمية) و(الزرعة الرومانسية) . . رؤية استراتيجية، الاسترجاع في 2013.08.27 من:

[http://www.asharqalarabi.org.uk/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-\(%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9\)-%D9%88\(%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B2%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9\)---%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9_ad-id!4406.ks#.XbmO2UUzYU0](http://www.asharqalarabi.org.uk/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-(%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9)-%D9%88(%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B2%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9)---%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9_ad-id!4406.ks#.XbmO2UUzYU0)

غزال، خالد، "المجتمعات العربية المأزومة وإعاقات الحداثة المركبة"، دار الطليعة، بيروت، كاتب وكتاب، الاسترجاع في 7-8-2008 من:

http://kabeliasnet.blogspot.com/p/blog-page_25.html

بشور، معن، "الوحدة العربية... ما هي ضرورتها وكيف يمكن تحقيقها؟"، المجد

منبر الثقافة القومية والعربية، بيروت، الاسترجاع في 05، أبريل، 2017

<http://almajd.net/2017/04/05/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%88%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%8A%D9%85/>

خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في ليبيا أثناء تولي معمر القذافي الحكم،

الاسترجاع في 2017/08/03. تفرغ فيديو من :

<https://www.youtube.com/watch?v=w-j8YBqCuuQ>

البرينصي، سنيا. الوحدة بين تونس وليبيا.. بين مطامح بورقية وأوهام القذافي،

بوابة إفريقيا الإخبارية، تونس، الاسترجاع 11-1-2015 من:

<https://www.afriqatnews.net/article/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3-%D9%88-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%B7%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D9%88-%D8%A3%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B0%D8%A7%D9%81%D9%8A/>

مسلسل «الشروق» العربي والدولي (27): "يوم قطع بورقية العلاقات مع

ليبيا"، تونس، جريدة الشرق، تاريخ النشر: 14.06.2018، الاسترجاع من:

<http://www.alchourouk.com/article/%D9%85%D8%B3%D9%84-%D8%B3%D9%84-%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%88%D9%82-%C2%BB-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A-27%D9%8A%D9%88%D9%85-%D9%82%D8%B7%D8%B9-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7-%D8%AA-%D9%85%D8%B9-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7>.

الحمد، تركي. "أسباب فشل الوحدة العربية، مركز عرب للدراسات والأبحاث"،

الإسترجاع في: 2018/03/12 من:

<https://arabcenter.wordpress.com/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D9%8A%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D9%89-%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%81%D8%B4%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7>

38 أسباب فشل الوحدة العربية كهدف رئيس للسياسة الخارجية الليبية من خلال تحليل الوثائق: 1969 – 1999

%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1/

رابطة المعاهد والمراكز العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، التكامل

الاقتصادي العربي في الخرطوم 13-15 فبراير 1989 (تونس: مؤسسة فريدريش
ايرت الألمانية، أكتوبر 1989).

إبراهيم، سباعي وآخرون، "التجربة الخليجية وحدها صمدت أمام أعاصير الزمن

تعددت ظروف وحدة العرب والفشل واحد"، البيان، الاسترجاع في 16/1/2010

من:

. <https://www.albayan.ae/one-world/2010-01-16-1.208900>

Kuri, M. T., Korany, B., & Dessouki, A. E. (2009). Bahgat Korany y Ali E. Hillal Dessouki. The foreign policies of Arab States: the challenge of globalization. Nueva edición revisada. Nueva York; El Cairo: The American University in Cairo Press, 2008. 494 p. Foro Internacional, 49.(197)

Frankel, J. (1969). National Interest: A Vindication. International Journal, 24.(4)

Deeb, M. J. (1991). Libya's foreign policy in North Africa. Westview Press.